متى نقضى حقًّا على الإرهاب ؟

شغلنا الإرهاب حتى كاد يغطى على جميع مشاكلنا . . آراؤه آية فى الغرابة ، وسلوكه لا مثيل له فى الوحشية ، والخسائر التى أنزلها باقتصادنا ثقيلة فادحة لا تُعوض فى الزمن القصير ، وبرغم ذلك كله فهو ليس مشكلة بلا حل ، فد استطاع إبراهيم عبد الهادى أن يقضى عليه ، كما استطاع جمال عبد الناصر أن يقضى عليه ، ويبدو أنه يسلم اليوم قلاعه الأخيرة ، ولا أستبعد أن يلحق بسابقيه قريبًا ، وأن يستقر الأمن والأمان .

ولكنى أرجو ألاَّ نعتبر المسألة منتهية بانتهاء الإرهاب . . وعلينا أن نسأل أنفسنا : لِمَ تكرر رجوعه ؟ . . لِمَ رجع بعد اختفاء ليمارس العنف ويسفك الدماء ؟

الواقع أنه يوجد فكر إسلامى ذو طبيعة خاصة ، وأهداف معروفة على نحو ما ، ولهذا الفكر قاعدة فى الشعب لا يمكن تجاهلها ، وله ممثلوه ، ولكنهم لا ينالون حقهم من الاعتراف ، سواء كهيئة أو كحزب ، ولذلك فهم محرمون من الممارسة المشروعة ، وينعكس ذلك وما يتبعه من ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية فى صورة آراء متطرفة عند بعض شبابه ، وسرعان ما يندفعون نحو العنف من جديد . . ونعود إلى

التعامل مع العنف بما يستحقه متناسين ملابساته كلها ، ونعتبره مشكلة مفتعلة أو مستوردة ، ونحمل عليها بكل قوة حتى نسكت صوتها وفعلها ، ولكن إلى حين وليس إلى الأبد ، طالما أن المسألة الأصلية باقية بدون حل .

ولا حل لتلك العقدة إلا فى الديمقراطية ، فى أن يتمتع كل تيار بحقوقه المشروعة . . وأن يسمع صوته للشعب بكل تفاصيله . . فى أن يدخل فى حوار مثمر مع مخالفيه لينتهى الحوار إلى رأى واحد أو أكثر . . ثم يكون الحكم للشعب .

٢ / ٩ / ١٩٩٣

فى مجتمعنا أحزاب كثيرة ومشكلات أكثر . ومن الطبيعى والمتوقع أن تقوم خلافات وتتضارب آراء حول المشكلات من نواحى التشخيص والعلاج والحلول المقترحة ، فَحَوْلَ الخصخصة جدل ، وفى البطالة خلافات ، وعن الفساد تتعدد الآراء ، ولكن كل أولئك يجرى فى جو من المعقولية والموضوعية ، ونادرًا ما يمس الإثارة ، وهو أبعد ما يكون عن العنف ، إلا مسألة نظام الحكم ، وهل يكون مدنيًّا أو إسلاميًّا ، فهذه يحتد حولها الخلاف ويشتد ، وتجنح فى أحوالٍ إلى العنف وسفك الدماء ، فلا نبالغ إذا قلنا : إنها المسألة الأولى فى جدول حياتنا السياسية .

ولعله من المفيد أن نلقى نظرة سريعة على موقف القوم من هذه المسألة الخطيرة .

فأما المدنيون فيتمسكون بالحكومة المدنية ، وتفضل أغلبيتهم الإطار الديمقراطى ، مع إيمان بأن الدين لله والوطن للجميع ، وأكثريتهم مؤمنة ، وفيهم متدينون صادقون ، ولذلك فلا يجدون بأسًا فى الاعتراف بأن مصر دولة إسلامية ، وأن الشريعة هى المصدر الأساسى للتشريع ، وكثيرًا ما يرددون بأن أكثر من ٩٠٪ من القوانين متوافق مع الشريعة الإسلامية .

وأما الإسلاميون فمنهم المتطرفون ، وفيهم يتوالد الإرهابيون ، ونظراتهم للدين تقوم على التشدد والمغالاة ، حتى لَيُكَفِّرُوا المجتمع حكامًا ومحكومين .

ومنهم محافظون معتدلون يمكن أن نطلق عليهم بحق « السلفيين » . ومنهم المستنيرون ، ولعلهم أقرب إلى حقيقة الإسلام ، يحترمون الفكر والديمقراطية والوحدة الوطنية ، ولديهم من المرونة والاستنارة ما يستطيعون أن يواجهوا به العصر .

ولعله من الخير للوطن ومستقبله ألاَّ ينقطع الحوارُ بين هؤلاء المستنيرين والديمقراطيين ، ولعله ينكشف عن قاعدة واحدة وهدف مشترك .

٣٠ / ٩ / ١٩٩٣

يتحدثون كثيرًا عن نظرة الغرب للإسلام والمسلمين ، ورأيه فيه وفيهم، ثم ينتهون من ذلك إلى الرأى الذى يتردد أحيانًا ، وهو أن الإسلام هو العدو المقترح والتحدى القادم للحضارة الغربية .

ولماذا يكون ذلك كذلك ؟

للرواسب التاريخية نصيب كبير ، وهناك من يعتقد أن الحرب الصليبية لا تريد أن تنتهى أبدًا .

وأخيرا وليس آخرًا فللتأخر الحضارى شأنه الكبير .

فما الرأى فى تلك الأسباب ؟

أما الرواسب التاريخية فلا أظن أنها تبقى فى ذاكرة الزمن أكثر مما ينبغى ، والتاريخ يشهد ذوبان عداوات قديمة فرقت بين أمم وشعوب ، ثم توارت أمام المصالح الجديدة ونداء الحياة المتجدد .

وأما الإرهاب فما أكثر الدول التى تعانى منه ، وهو يُمارَسُ فيها على نحو أشد وأفظع مما يُمارَس فى الدول الإسلامية ، ومع ذلك فلا يؤثر ذلك فى سُمعتها ولا منزلتها .

أما التأخر الحضارى فقد نجد هنا العذر للغرب إذا هو خصنا بنظرة

خاصة غير مريحة . إن بعض الشعوب الإسلامية تحكم بطريقة بعيدة عن روح العصر ، وحقوق الإنسان بها تتعرض للاستهانة والعدوان ، والإدارة فيها تتسم بالعجز والفساد ، بالإضافة إلى تأخرها فى مجالات العلم والثقافة .

وتلك حال يُسأل عنها المسلمون لا الإسلام ، فهو دين شورى ويحترم الإنسان ، ويقدس الحرية والعدل والعلم والعمل .

وأفضل من التذمر والاحتجاج على الغرب ، أفضل من ذلك أن ننقد أنفسنا ونصلحها ، ونصلح دنيانا ، فيقبل علينا الاحترام بدون شكوى أو دعاية .

٢٥ / ١١ / ١٩٩٣

العـدو الأول

حَسَن جدًّا أن نفكر فى حاضرنا ومستقبلنا . وحسن جدًّا أن ندعو الجميع إلى ذلك ، وإنْ وجَبَ ذلك على كل مواطن بغير دعوة ، ولا يصح أن نفهم الدعوة على أنها تجيز تأجيل الاهتمام بمشكلة ، فالمشاكل مترابطة ، والتنمية يجب أن تكون شاملة ، وكما أن تجديد التعليم ضرورى ضرورة الحياة نفسها ، فقضية التلوث ذات خطورة لا يمكن التهاون فيها كذلك ، فإن تأسيس أى نهضة على أساس ديمقراطى متين مَطْلَب غاية فى الأهمية ، ونحن نؤمن به إيمانًا كاملا .

وإذن فلتكن الدعوة بهدف إبراز أهمية هذا الموضوع وتسليط الأضواء عليه . وإنه لَموضوع هامٌّ حقًّا ، ويتداخل فى أكثر من مشكلة ، وذو أَثَرٍ فى حاضرنا ومستقبلنا أقوى من أى شك أو خلاف ، وأعنى به الإحباط ، أو إذا شئت اليأس ، المرض القاتل لكل نفس ، والدافع الأعمى وراء شرور لا حصر لها ، وجرائم لا تحصى ، وهو كارثة إذا أصاب أى شخص ، ولكنه كارثة مضاعفة إذا تسرب إلى نفس الشاب . . فهو يعيش وينشر الظلام والعبث والجريمة والحقد والخلل العقلى ، فعلينا أن نحارب اليأس بكل الوسائل ، ومهما كلفنا ذلك من تضحيات .

وقد تكون البطالةُ وَكْرَهُ الأول ، ولكنه ليس الوكر الوحيد . . قد يُولد

فى المدرسة الكئيبة الناقصة ، وفى الهيئة العشوائية ، وفى المرتب الذى لا يحقق غاية ، وفى الشعور الأليم بعدم تكافؤ الفرص والتحيز ، وفى العبث بسيادة القانون فى عدم احترام حقوق الإنسان .

حاربوا اليأس فى أوكاره ومظانه . . إننا نحن الذين نغرسه ، ونحن الذين نحصده .

٢ / ١٢ / ١٩٩٣

حـوار مع العنف

لماذا يعمد البعض إلى استعمال العنف فى التعامل مع الآخرين أو مع المجتمع .

يرد أول ما يرد على الخاطر الأسباب المرضية ، عقلية كانت أو نفسية ، وما يكمن وراءها من دوافع وراثية ، أو ظروف اجتماعية .

وثمه عنف تسوق إليه القوة ، يلجأ إليه الصبى القوى أو الشاب القوى اعتزازاً بقوته العضلية فى مواجهة الآخرين ، وقد ترتكبه السلطة فى البلاد التى يُستهان فيها بحقوق المواطنين .

ويوجد عنف ربما فُرِض بدون قصد ، يتورط فيه اللصوص إذا وقعوا فى المصيدة وسدت فى وجوههم سُبل الفرار .

وطبعًا لا ننسى العنف المستلهم من التقاليد ، مثل الثأر ، والغضب للعرض . ولا ننسى أيضًا عنف مجرمى الحروب الذى يحصد ضحاياه بالملايين . وهناك العنف السياسى ، وينشأ عادة عند اليأس من بلوغ الهدف بالسبل المشروعة . وهذا الشعور يتكون عند الطرق المسدودة ، أو حول الأهداف التى تبدو بعيدة المنال جدًّا ، أو فى التصرف مع عدو يتفوق فى قوته لدرجه تخل بأى توازن .

وهناك ظروف ، وإنْ لم تؤدِّ إلى العنف بصفة مباشرة وحتمية ، فهى

تخلق المناخ الذى يغرى به أو يدفع إليه ، ويخلق حالة نفسية للتعاطف معه ، مثل البطالة ، وعجز الشاب عن تحقيق مطالبه المشروعة ، وانتشار الوساطة ، وانعدام تكافؤ الفرص ، وتفشى الفساد ، والاستهتار بحقوق الإنسان .

وعلى أى حال فكلما اقترب مجتمع من الصلاح ابتعد عن العنف بجميع أشكاله وصوره .

١٧ / ٣ / ١٩٩٤

لا يخلو مجتمع من فساد ، فمن الغرائز البشرية ما يدفع للعدوان والقتل والنهب ، وكافة أنواع الإيذاء ، أمَّا عندما ينتقل الإنسان إلى الحياة فى مجتمع فإنه يُتاح له التفرقة بين المستقيم والفاسد ، وبين الخير والشر ، ويسن القوانين للثواب والعقاب . ومهما أوتى الإنسان من أسباب التربية والتهذيب ، وحظى بالقدوة الصالحة والدين والقيم ، فستظل نسبة منه ضحية لأهوائها الجامحة ، وغرائزها الكامنة .

من أجل ذلك نجد الفساد فى جميع الدول ، متخلفة ومتقدمة ، دكتاتورية وديمقراطية ، غير أن الأمر يختلف بين دولة وأخرى فى درجة مقاومتها للفساد . . فالدولة المتقدمة تمتاز بنظام تربوى راقٍ ، وقدوات صالحات فى كل مجال ، ومستوى معيشة حسن ، ومناخ نفسى أقرب للصحة والسلامة ، ومن شأن ذلك كله أن يقوى الصلاح ويقاوم الشر والفساد .

كذلك الدولة الديمقراطية ، تتوافر فيها الحريات والمراقبة ، والمتابعة والمعارضة ، واحترام حقوق الإنسان ، وتقديس القانون وهيمنته على الجميع ، وتكافؤ الفرص ، وغير ذلك مما يقوى الاستقامة ويحاصر الفساد ويطارد المفسدين .

ونقيض ذلك تمامًا ما يحدث فى المجتمع الاستبدادى ، حيث يرفع الحكام أنفسهم فوق القانون ، وحيث تجد الغرائز جوًّا متحررًا من الخوف والمسئوليه والرقابة ، فترتكب أشنع المنكرات فى أمانٍ وطمأنينة ، وتمتد امتيازات الحكام إلى الأتْباع والأقارب والأصدقاء والخدم ، وتختفى القيم والمبادىء ، وتنطفىء الآمال .

ومن حُسن الحظ أننا بتنا نعرف الخير وطريقه ، كما عرفنا قيمة الصدق فى العمل .

٢٤ / ٣ / ١٩٩٤

الفكر المتطرف فى بلادنا قديم ، وهو يرفض كل جديد مما بشرت به الحضارة الغربية ، كذلك فإن الفكر الحديث تاريخ لا يُستهان به ، وهو يعمل على بناء دولة عصرية ، متخذًا من الحضارة الغربية قدوة يسترشد بها . وكما أن الفكر المتطرف يدَّعِى أنه الممثل الحقيقى للدين ، والفكر الحديث يؤكد أنه هو الممثل الحقيقى للدين الحق .

ويشهد التاريخ بأن العلاقة بين الفكرين علاقة عكسية ، فكلما قوى أحدهما ارتفع صوته وانتشر أثره ، والعكس صحيح .

وكان ـ ومازال ـ الحكم بين الفكر الحديث على تَفَاوُتٍ فى درجات الحداثة بين فترة وفترة ، كذلك تفاوتت فترات حُكْمِه بين الصعود والهبوط ، فمن فترات صعوده إنجازات ثورة ١٩١٩ ، وإنجازات العهد الأول لحكم عبد الناصر ، ونصر أكتوبر وتحرير أرض الوطن ، ومن فترات تدهوره حريق القاهرة ، وما أعقبه من التخبط الملكى ، و ٥ يونية ، والانفتاح العشوائى ، والأزمة الاقتصادية ، والفساد .

وعند كل صعود يخفت صوت التطرف الدينى ، وعند كل هبوط يرتفع صوته ويتحول إلى العنف .

من أجل ذلك فالتصدى الناجح للعنف لا يتم إلا بالعمل الشامل .

أما المقاومة الأمنية والدعاية الفكرية فهما ضرورتان حقًّا ، ولكنها ـ وحدهما ـ لا يجديان ، ولابد من العمل الشامل بكل قوة واصرار . . العمل الذى يتضمن الإصلاح السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى معاً . إنه الحرية والعدل ، والبناء والتعمير ، والتطهير من الفساد والسلبية ، وإنه التطلع إلى المستقبل بعقل يضيئه العلم ، وقلب يعمره الإيمان

٢ /٤/ ١٩٩٤

مؤامرة ضد الإسلام

إن الحديث عن المؤامرات التى تُدَبَّرُ بليلٍ ونهارٍ ضد الإسلام والمسلمين حديث مشهور ومُعاد ، يكاد يُحفظ عن ظهر قلب من كثرة تكراره ، ولست أنوى مناقشته ، ولكنى سأسلم به ولو احترامًا للأغلبية ، وللأغلبية حق فى الاحترام لا يصح تجاهله .

ولكنى أنبه ـ إضافة لما سبق ـ إلى مؤامرة لم تلق حظها من الضوء والعناية ، وهى المؤامرة التى يحيكها مسلمون ضد الإسلام والمسلمين ، ولعلها أكثر من مؤامرة واحدة ، هناك الإرهاب والإرهابيون ، وهم مسلمون متطرفون ، ولو قنعوا بالتطرف فى الرأى لحق لهم ذلك ، وحق لهم أيضًا أن ينشروه بكافة الوسائل المشروعة ، ولكنهم يتجاوزون التطرف إلى العنف والإرهاب ، ولا يخفون طبيعتهم ، فهم يباهون الخَلْقَ بأنهم إرهابيون ، وأنهم يكرسون حياتهم لإرهاب المجتمع الإسلامى الكافر فى نظرهم ، ويقضون على رموزه ومؤسساته ، حتى انتهى بهم الغضب إلى قتل الأبرياء من النساء والرجال والأطفال ، فبقصد أو بغير قصدٍ هذه مؤامرة تُوهن من تماسُك الأمة وتقدمها ، وتثير فى جنسياتها البلبلة والإحباط .

هناك أيضًا أغنياء المسلمين ، وهم أثرياء لا يُستهان بثرواتهم فى

العالم. وكان يمكن أن يكونوا مرجع الأمة فى تقدمها المادى ، وتفوقها الاقتصادى والعلمى ، ولكنهم ينسون إخُوَّة الإسلام ، ويستثمرون فى السوق العالمية أموالهم ، ويضنون على أوطانهم الضعيفة إلاَّ بالفتات، حتى ليقال إنهم ينفقون فى الخارج ٨٠ دولارًا مقابل كل دولار واحد فى الداخل . . فبقصد أو بغير قصد هذه مؤامرة أخرى .

وإذا كان هذا هو حالنا مع أنفسنا فما يحق لنا لَوْمُ الغرباء .

١١ / ٥ / ١٩٩٤

الأخـــــلاق

كثيرًا ما نتبادل الشكوى لما حاق بأخلاقنا العامة والخاصة من تدهور . . وهو تدهور لا يستطيع أن يتجاهله أحد ، ولا أن يهون من خطورتِه ، وكثيرا ما نعلل ذلك بسبب محدد تبعًا لمناسبة الحديث أو على سبيل الاستسهال ، فالسبب هو الأزمة الاقتصادية ، أو البطالة ، أو حتى السينما أو التليفزيون ، ولكن ظاهرة السلوك البشرى أعظم تعقيدًا ، ومتداخلة فى ظاهرات اجتماعية كثيرة ، ولن أقف أمام الأسباب العقلية والنفسية ، فهى أحوال مرضية ، وعلاجها بيد الطب قبل كل شىء . . الذى يهمنى هنا أن أعد الأسباب الاجتماعية ، لأنها الغالبة من ناحية ، ولأن مجرد ذكرها يشير إلى كيفية الخلاص منها من ناحية أخرى .

إن أخلاقنا اليوم هى الثمرة المرة لعوامل عديدة ، أقدم لك منها :

١ ـ حكم استبدادى أرهبَ الناس بصرامته ، حتى عَشَّشَ الخوف فى القلوب ، والمهانة فى النفوس ، وجعل من النفاق والانتهازية دستورًا للحياة .

٢ ـ من توابع الاستبداد الاعتماد المطلق على أهل الثقة وتفضيلهم على أهل الخبرة ، مما يهدر قيمة العلم والعمل ، ويزكى المَلَق والانحراف والعلاقات الخاصة والفهلوة والاستهتار .

٣ ـ الأزمة الاقتصادية وتوابعها من الغلاء والبطالة ، وفتكها بمحدودى الدخل ومن دونهم من الفقراء ، فكانت مدخل كثيرين إلى الانحراف بأنواعه ، والاستهانة بالروابط الحميمة التى كانت فيما مضى شبه مُقدسة ، كما كانت الدافع وراء العديد من جرائم السرقة والقتل والاغتصاب والمخدرات .

٤ ـ الاستهانة بقدسية القانون ومخالفته جهارًا والتراخى فى تطبيقه ، والإهمال فى تنفيذ أحكامه .

وقد يحتاج العلاج إلى وقت ، ولن يجدى فيه الكلام والمواعظ . . لابد من التنمية الشاملة التى تشمل فيما تشمل الإصلاح السياسى والاقتصادى والتربوى والثقافى .

٢ / ٦ / ١٩٩٤

أسـرة الإرهـاب

لعل أبسط تعريف للإرهاب هو استعمال القوة غير المشروعة فى سبيل الوصول إلى غاية ما ـ إنْ صح هذا التعريف ـ فليس الإرهاب المعروف هو الإرهاب الوحيد الذى يُمارَس فى المجتمع ، كل ما يتحقق بالقوة لا بالقانون أو الشرعية هو نوع من الإرهاب . والقوة لا تعنى الرصاص والقنابل فحسب ، فهناك أيضًا قوة النفوذ ، والقرابة ، والحزب ، والأسرة ، والطائفة ، والدين ، فيمكن القول بأن أية قوة تُستعمل لخرق الشرعية أو تخطى القانون هى إرهاب ، ويجب أن نعتبرها كذلك ، وأن نضعها فى كفة واحدة مع الإرهاب الذى نطارده صباح مساء .

فالوصول إلى السلطة قد يكون نتيجة جهاد مشروع ، أو ثمرة لعنف إرهابى . وشغل الوظائف العامة قد يكون بحسب المجموع أو من خلال امتحان نزيه ، وقد يعتمد على قوة النفوذ والواسطة ، أى على الإرهاب . والصفقات التجارية قد تعتمد على قوانين السوق ، وقد يتحكم فيها النفوذ والرشوة ، وغير ذلك من وسائل الإرهاب الاقتصادى . وعلى هذا النحو تجرى الخدمات ، فانظر إلى ما يقع فى الطريق والمستشفى والمواصلات والمصالح الحكومية ، هل تتم المعاملة وفقًا لنظام ثابت شامل لا يفرق بين شخص وآخر ، أم أنه يفتح ذراعية بحرارة الترحاب لأُناسٍ ويصب على الآخرين عذاب المعاناة بغير حساب ؟

بعد هذا التمهيد فإننى أدعو كل قارىء لتأمل ما يحدث فى مجتمعنا ، وليحكم بنفسه أهو مجتمع قانونى شرعى أم مجتمع إرهابى ؟

وأظنك تتفق معى على أن أولى درجات الحضارة أن يتحول المجتمع من مجتمع يقوم على الغريزة والقوة إلى مجتمع يحيا فى ظل القانون والشرعية ليحقق الحرية والعدل .

١٤ / ٧ / ١٩٩٤